الفصل الأول

تعريف الدعوة

١ – تعريف الدعوة :

الدعوة لغة الصيحة والنداء :

جاء فى لسان العرب : « دعا الرجل دعوًا ودعاء : ناداهُ ، والاسم الدعوة ودعوت فلانًا أى صحت به واستدعيته[١] » ودعوت زيدًا ناديته وطلبت إقباله »[٢] .

وتأتى الدعوة – أيضًا – من الدعاء إلى الشيء بمعنى الحث على قصده، ومنه قول الله تعالى : ﴿قال رب السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه﴾[٣] .

جاء فى المعجم الوسيط : « دعا إلى الشيء حثه على قصده .. ودعاه إلى الدين وإلى المذهب : حثه على اعتقاده[٤] .

وفى العرف : حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل »[٥] .

---

(١) لسان العرب ١٣٨٥/٩ .
(٢) المصباح المنير ١٩٤ .
(٣) سورة يوسف : الآية ٣٣ .
(٤) ٢٨٦/١ .
(٥) هداية المرشدين ١٧ .

وقد عرفها شيخنا الأستاذ البهى الخولى بقوله : «هى نقل أمة من محيط إلى محيط.. ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته »[1] .

والدعاية : مرادفة للدعوة ، حيث وردت فى رسائل النبى ﷺ إلى الملوك ، ففى كتابه ﷺ إلى هرقل : « أدعوك بدعاية الإسلام » أى بدعوته وهى كلمة الشهادة التى يدعى إليها أهل الملل الكافرة[2] .

وعلى الرغم مما يقصد بها اليوم من ترويج للباطل وتمويه للفاسد ، على سبيل قلب المعنى ، فإن الدعاية تظل قائمة على المعنى الأصلى الذى هو ترويج للحق ، وإذا استعملها الغربيون للباطل ، فلا يمنعنا ذلك أن نستعملها للحق[3] .

ومن الكلمات التى ترادف الدعوة بفروق يسيرة ما يأتى :

١ – الوعظ : وهو النصح بالخير على وجه يرق له قلب السامع ، وفى أسلوب يحمله على قبول الحق والعمل به .

٢ – والإرشاد : هو هداية الناس إلى الطريق المستقيم ، والحث على الخير[4] .

٣ – الحسبة: – بالكسر– وقد عرفها ابن خلدون فى مقدمته بقوله: « أما الحسبة فهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»[5].

---

(١) تذكرة الدعاة ٤٤ (طبعة الاتحاد الإسلامى العالمى ١٤٠٠هـ) .
(٢) انظر : لسان العرب ١٣٨٥/٩ .
(٣) آدم عبد الله الألورى : تاريخ الدعوة إلى الله ص ١٧ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) مقدمة ابن خلدون ٦٣٦/٢.

وهناك فريق من العلماء عرف الحسبة فقال : الحسبة أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله[1] .

وهذا هو التعريف الراجح للحسبة لأنه جامع مانع وسار عليه كثير من المتقدمين والمتأخرين[2] .

٢ – حكم تبليغ الدعوة :

اتفق أهل العلم على وجوب الدعوة الإسلامية ، وكان ذلك الاتفاق إجماعًا انعقد فى عصر الصحابة ، ثم عصر التابعين ، والإجماع لا ينقض إذا تخاذل المسلمون عنه ، فلم يقوموا بحقه[3] .

والأدلة على وجوب الدعوة ما يلى :

١ – قال الله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[4] .

فقد أوجب الله على المسلمين أن تقوم منهم طائفة بوظيفة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة ،

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ٢٧٠ (المكتبة التوفيقية ١٩٧٨) وانظر – أيضًا– الأحكام السلطانية لأبى يعلى الحنبلى ٢٨٤ ومعالم القربة لابن الإخوة ٥١ ، وعمر بن محمد السنامى فى كتابه : نصاب الاحتساب ١٣ .

(٢) انظر : بدر عبد الرازق الماص : الاحتساب فى دعوة الإمام حسن البنا ١٣ .

(٣) محمد أبو زهرة : الدعوة إلى الإسلام ٣٤ .

(٤) سورة آل عمران : آية (١٠٤) .

كل بحسبه : كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وفى رواية : « وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[1] .

٢ – ولقد شدد بالإنكار على قوم أغفلوا هذه الفريضة ، وتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال جل شأنه : ﴿لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهَون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[2] .

عن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ[3] : « إنَّ أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : ﴿لُعِنَ الذين كفروا﴾ إلى قوله : ﴿ فاسقون﴾ ثم قال ﷺ : « كلا والله لتأمرنّ بالمعروف وتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنّه على الحق أطرًا ولتقصرنه على الحق قصرًا أو ليضربن الله على قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما يلعنهم »[4] .

---

(١) مختصر ابن كثير ٣٠٦/١ .

(٢) سورة المائدة : الآيتان (٧٨ ، ٧٩) .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وغيرهم .

(٤) لتأطرنه : بكسر الطاء وضم الراء لتردنه وبابه ضرب ، وأصل الأطر العطف ، ولتقصرنه بضم الصاد والراء ، تمنعه من مجاوزته وبابه نصر .

وعن حذيفة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[1] .

٣ – وعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[2] .

ويبين الحديث الشريف أن الاستطاعة شرط فى تغيير المنكر باليد ، فإن لم يقدر وجب التغيير باللسان ، وهو غير قاصر على نهى الغاش ووعظه ، بل يدخل فيه رفع أمره إلى الحاكم الذى هو أقدر منك ، أما التغيير بالقلب : فهو عبارة عن مقت الفاعل وعدم الرضا بفعله ، بل ومقاطعته وترك مجالسته ومعاملته .. يدل على ذلك ما فعله ﷺ وأصحابه مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية[3] .

٤ – ولا ينافى الوجوب قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾[4] . لأن معنى الآية إنكم إذا فعلتم ما وجب عليكم فلا يضركم تقصير غيركم . مثل قوله تعالى : ﴿ ولا تَزِرُ وازرةٌ وزر أُخرَى ﴾ ومما وجب علينا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذ لا يكون المرء مهتديًا مع تركه لهذه الفريضة ، فإذا قام

---

(١) رواه مسلم .
(٢) هداية المرشدين ص٢٠ وما بعدها .
(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن .
(٤) سورة المائدة الآية (١٠٥) .

بها ولم يمتثل المخاطب فلا جناح عليه بعد ذلك لأنه أدى ما عليه ، والذى عليه القول لا القبول ، وهذه شبهة قديمة العهد عرضت للناس فى الصدر الأول ، فقد روى أحمد والترمذى وأبو يعلى وغيرهم من حديث قيس بن حازم قال : قام أبو بكر خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية : ﴿ يَأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ وإنكم تضعونها على غير موضعها ، – أى يتوهمون منها أن الإنسان إذا فعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه فى نفسه ، ورأى غيره بضد ذلك فلم يأمره ولم ينهه ، لا حرج عليه ، وليس كذلك – وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » .

هذا .. وقد يسأل سائل : هل الدعوة إلى الله واجبة على الخاصة ، أم هى على الكافة ؟ وبعبارة أدق : أهى فرض عين أم فرض كفاية ؟

أقول : هنا اختلف العلماء إلى فريقين :

فريق يقول : إن الدعوة إلى الله فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط التكليف عن الباقين .. واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[1] .

على أن مِنْ فى هذه الآية « للتبعيض » أى لتكن منكم طائفة منتصبة للدعوة إلى الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

(١) آل عمران آية ١٠٤ .

وهنا يجب على الأمة أن تقوم بإعداد هذه الطائفة المعينة ، لكى يتحقق الفرض الكفائى ، ومما يؤيد هذا الرأى قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾[1] . والآية تدل على أن التبليغ واجب على طائفة من كل فرقة .

ويؤيد هذا القول أيضًا قوله تعالى :﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ فالله يأمر نبيه ومن تبعه من المؤمنين بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، ولا ريب أن هذه أساليب لا يتقنها كل إنسان ، وإنما تحتاج إلى علم ومعرفة تحقق نجاح الدعوة .

وقد أيد الزمخشرى هذا القول حيث بين أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات ، وأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر ، وعلم كيف يُرتّب الأمر فى إقامته ، وكيف يباشر ، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين في موضع الغلظة ، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديًا، أو على من الإنكار عليه عبث .. كالجلادين وأضرابهم »[2] .

ويقول فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود – شيخ الأزهر السابق – فى قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ﴾ .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٢ .
(٢) تفسير الكشاف ٢٠٨/١ .

إن كلمة « مِنْ » فى قوله تعالى : ﴿ منكم﴾ إنما هى للتبعيض أخرجت من لا يستطيعون الدعوة إلى الخير ، ولا يستطيعون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعجزهم أو جهلهم أو ضعفهم[1] .

وأما الذين ذهبوا إلى أن الدعوة إلى الله واجب عينى على كل مكلف حسب طاقته فدليلهم على ذلك نفس الآية السابقة – أيضًا – ﴿ ولتكن منكم أمة﴾ على أن (مِنْ) بيانية وليست تبعيضية فالمسلم مكلف بالدعوة حسب إمكاناته ، والدليل على ذلك قول الرسول : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[2] .

ومما يؤيد هذا القول أيضًا قول الله تعالى :﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتَنْهَون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾[3] .

فالأمة الإسلامية أمة دعوة ، وقد نالت هذه الخيرية بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله تعالى . والخطاب عام لكل الأمة .

ويؤيده أيضًا قول الرسول ﷺ : « بلغوا عنى ولو آية »[4] .

---

(١) من مجلة البحوث الإسلامية المجلد الأول – العدد الثانى ص ١٤٥ و١٤٦ من زوايا الدعوة إلى الله لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) رواه مسلم .

(٣) آل عمران آية ١١٠ .

(٤) فتح البارى – كتاب الأنبياء ٤٩٦/٦ (المطبعة السلفية) .

هذا أمر من رسول الله ﷺ لأمته بالتبليغ عنه ولو آية واحدة والخطاب عام لكل إنسان حسب استطاعته ومقدرته .

وبعد هذا العرض لأدلة الفريقين فإنى أرجح القول الأول القائل بأن الدعوة إلى الله واجب كفائى ، لأن الدعوة لابد لها من علم ومعرفة ، لأن الجاهل إذا قام بالدعوة ربما أمر بالمنكر ونهى عن المعروف فيضر أكثر مما ينفع فلابد من التفقه قبل الدعوة وعلى هذا يرى أن تبليغها فرض كفاية .

والأولى أن يقال – إنه واجب كفائى وعينى معًا – كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة[1] – حسب ما يقتضيه الحال .

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز : صرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التى يقوم فيها الدعاة ، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها ، فهى فرض كفاية إذا قام بها من يكفى سقط عن الباقين ذلك الواجب وصارت الدعوة فى حق الباقين سنة مؤكدة وعملاً صالحًا جليلاً ، وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام ، صار الإثم عامًّا ، وصار الواجب على الجميع ، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه ، أما بالنظر إلى عموم البلاد فالواجب أن توجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا فى أرجاء المعمورة تبلغ رسالات الله ، وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة .. ثم قال : وبهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبى يختلف ، فقد

---

(١) راجع محمد أبو زهرة : الدعوة إلى الاسلام ٣٤ –٥٢ .

تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص ، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام ، لأنه وجد فى محلهم وفى مكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم .. قال : ونظرًا إلى انتشار الدعوة إلى المبادىء الهدامة وإلى الإلحاد وإنكار رب العباد ، وإنكار الرسالات وإنكار الآخرة ، وانتشار الدعوة النصرانية فى الكثير من البلدان ، وغير ذلك من الدعوات المضللة نظرًا إلى هذا ، فإن الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضًا عامًا ، وواجبًا على جميع العلماء ، وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام .

ذلك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله والتشكيك فى دينه ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله عز وجل ، فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط المضل الملحد بنشاط إسلامى ، وبدعوة إسلامية على شتى المستويات ، وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة ، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله[1] ..

٣ – فضل الدعوة :

١ – الدعوة إلى الله – تعالى – أرقى وأشرف مهنة ، لأنها وظيفة الرسل – عليهم الصلاة والسلام – وهم أشرف الخلق على الإطلاق .

---

(١) انظر : الشيخ عبد العزيز بن باز : الدعوة إلى الله وأخلاق العلماء ١٤ ، ١٧ ، ١٨ (الدار السلفية ط الأولى ١٤٠٤هـ) .

٢ – ويكفى الدعاة شرفًا وفخرًا أن الله سبحانه قال فى حقهم ثناء وتنويهًا:﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إننى من المسلمين﴾[١] .

فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاة والثناء عليهم وأنه لا أحد أحسن قولاً منهم . والمعنى لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وأرشد إليه وعمل بما يدعو إليه ، ومع ذلك صرح بما هو عليه لم يخجل بل قال : إننى من المسلمين مغتبطًا وفرحًا بما منّ الله به عليه ، قال المفسرون : ﴿وقال إننى من المسلمين﴾ أى قال ابتهاجًا بالاسلام وفرحا به واتخاذًا له دينا ومذهبا[٢] .

وهذا ليس كمن يستنكف عن ذلك ويكره أن ينطق بأنه مسلم أو بأنه يدعو إلى الإسلام لمراعاة فلان أو مجاملة فلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، بل المؤمن الداعى إلى الله القوى الإيمان البصير بأمر الله يصرح بحق الله ، وينشط فى الدعوة إلى الله .. ويغتبط بذلك ويفرح به كما قال عز وجل : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون﴾[٣] .

٣ – وقال الرسول ﷺ فى الحديث الصحيح : « من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله »[٤] .

---

(١) سورة فصلت : الآية ٣٣ .
(٢) الفتوحات الإلهية ٤/٤٢ .
(٣) سورة يونس : الآية ٥٨ .
(٤) رواه مسلم .

وقال ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا يَنْقُصُ ذلك من آثامهم شيئًا »[1] .

وهذا أيضًا يدلنا على فضل الدعوة إلى الله وما فيها من الخير العظيم وأن الداعى إلى الله جل وعلا يعطى مثل أجور من هداه الله على يديه ولو كان آلاف الملايين . فيالها من نعمة عظيمة فهنيئًا لك أيها الداعية إلى الله بهذا الخير العظيم[2] .

٤ – وصحّ عنه ﷺ أنه قال لعلى رضى الله عنه وأرضاه « فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النعم »[3] .

٥ – والدعاة – أيضًا – ورثة الأنبياء لقول الرسول ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء »[4] . فهل أدرك الدعاة إلى الله فضلهم وعرفوا فى هذه الحياة منزلتهم[5] .

٦ – ومما يدل على فضل الدعاة إلى الله تعالى أن أهل السماء والأرض يستغفرون لهم ، فقد روى الترمذى عن أبى أمامة مرفوعًا .. « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها والحيتان فى البحر يصلون على معلم الناس الخير » .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز : الدعوة إلى الله ٢٢ .
(٣) متفق على صحته .
(٤) رواه الخمسة وصححه ابن حبان والحاكم .
(٥) عبدالله علوان : فضل الدعوة والداعية ٦٠ .

والصلاة – كما هو معلوم – من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ، ومن العبد دعاء ، وهذه منزلة قلما يدركها أحد إلا من تصدى للدعوة وسار فى طريق الهداية والإصلاح والتبليغ ، ألا فليعلم الدعاة مقامهم ، ويدركوا فى هذا الوجود منزلتهم ، فهنيئًا لهم ، ولمن يسير على دربهم كم يناله من شرف ؟ وكم يسطّر لهم فى صحائفهم من أجر ومثوبة[1] ؟

ورحم الله الخليفة الراشد عليًّا رضى الله عنه حين قال :

ما الفضل إلا لأهـل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعـداء
ففـز بعلـم تعش حيًا بـه أبدًا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

٤ – أهداف الدعوة :

للدعوة إلى الله – سبحانه – أهداف نذكرها فيمايلى :

١ – دعوة غير المسلمين إلى الدخول فى الإسلام ، وقد سن لنا النبى ﷺ هذه السنة الحسنة عن طريق مكاتبة الملوك والأمراء وأمرهم أن يبلغوا أممهم ، وهذه الدعوة تؤدى إلى هدفين رئيسين :

أحدهما : الكشف عن مبادىء الإسلام الحسنة ، وتعريف الأمم بما فيه من خير ورحمة وعلاج لكثير من المشاكل التى تعانى منها الشعوب المختلفة فى كثير من أرض الله .

والآخر : محو الصورة السيئة التى ألصقها أعداء الإسلام من المبشرين والمستشرقين وغيرهم بالمسلمين ورسالتهم ، أجل ! لقد حاول القسس

---

(١) السابق ٦٢ .

والمنصِّرُونَ منذ أمد بعيد أن يعملوا باستماتة على تشويه صورة الإسلام وتقديمه للناس على أنه دين يدعو إلى التخلف والخرافة ، وأن تعاليمه تقوم على الغلظة والوحشية وأن كتابه – وهو القرآن – مجموعة من النصوص التى أخذها محمد من تعاليم التوراة وأسفار الإنجيل ثم أضاف إليها بعض خرافات الوثنية والأمم المجاورة ، ولذلك فإنه – من وجهة نظرهم – ليس دينًا سماويًا من الله – سبحانه – لهذا كله كان واجبًا على الدعاة والعلماء أن يوضحوا للعالم محاسن الإسلام وسماحة تعاليمه وسمو تشريعاته بالكتب أو الخطب أو المناظرات العلمية بين علماء الأديان المختلفة مثال ذلك المناظرة الكبرى التى قامت بين الشيخ أحمد ديدات والقس جيمى سواجارت فى الولايات المتحدة الأمريكية وكان موضوعها : (هل الإنجيل كلمة الله) ؟ لقد شاهد الناس بأعينهم على اختلاف أديانهم أن ما يقوله المستشرقون عن القرآن الكريم أكذوبة أملاها الحقد والهوى والتعصب الذميم ، كما شاهدوا – أيضًا – فى تلك المناظرة أن الكتاب المقدس – كما يسمونه – فيه من قصص الجنس ما يستحى الرجل الفاضل أن يقصه على ابنته أو أخته أو زوجته – لو كانت امرأة فضلى – وقد ذكر الشيخ ديدات أمثله على ذلك[1] .

٢ – ومن أهداف الدعوة – أيضًا – دعوة المسلمين بعضهم لبعض إلى الخير قال تعالى : ﴿ وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[2] . ومعنى هذه الدعوة هو إرجاع المسلمين إلى جوهر الإسلام وتشريعه

---

(١) انظر مقدمة المناظرة الكبرى للدكتور محمود على حماية ٢٩ و ٣٠ .

(٢) سورة العصر : الآية ٣ .

الحكيم ، وتعميق ذلك فى نفوسهم ونفى ما علق بالإسلام من خرافات وأوهام[1] .

٣ – وإن هدف الدعوة الإسلامية تحقيق السعادة للفرد والمجتمع فتعاليم الإسلام تحقق للإنسان الصحة النفسية والراحة والاطمئنان فى حياته ، لأن أكثر ما يصيب العالم اليوم من قلق واضرابات وضيق واكتئاب ، مرده إلى أحد أمرين : الحزن على ما فات ، أو الخوف مما هو آت ، ولا ريب أن الدعوة الإسلامية أوجدت العلاج لكلا الأمرين ، فبالنسبة للحزن على مافات : نجد آيات القرآن الكريم تبين لنا عاقبة الصبر وما أعده الله سبحانه للصابرين الراضين بقضاء الله وقدره ، يقول جل وعلا : ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[2] ويقول أيضًا ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[3] . وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى تحث على الصبر مما يجعل المصائب والمحن تنزل على المؤمن بردًا وسلامًا لما يعلمه المؤمن من ثواب الله وعظيم أجره الذى أعده لعباده الصابرين .ولذلك يقول ﷺ : « عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له »[4] كما بين القرآن الكريم حقيقة الدنيا وأنها

---

(١) محمد خير رمضان يوسف : الدعوة الإسلامية ٢٦ .
(٢) سورة البقرة : الآيتان ١٥٥ و١٥٦ .
(٣) سورة الزمر : الآية ١٠ .
(٤) رواه مسلم .

دار اختبار وامتحان حتى يكون المؤمن على بينة من أمره قال تعالى : ﴿أحسب الناس أن يُتْركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[1] . أما الخوف من المستقبل المجهول فقد بين القرآن الكريم أنه لا يصيب المؤمن إلا ما كتبه الله عليه فقال تعالى :﴿قل لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[2] .

وقال ﷺ : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف »[3] .

وصفوة القول :أن الدعوة الإسلامية بتعاليمها وعقائدها تجعل الناس يعيشون فى سعادة واطمئنان رضًا بقضاء الله وطلبًا لمثوبته فى الآخرة ، ورجاء فى رحمته وفضله الذى أعده للمؤمنين الصابرين ، وقد وضح هذا المعنى الذى أشرت إليه الإمام ابن حزم الأندلسى عندما قال : « تطلبت غرضًا يستوى الناس كلهم فى استحسانه ،وفى طلبه ، فلم أجده إلا واحدًا ، وهو طرد الهم . فلما تدبرته علمْت أن الناس كلهم لم يستووا فى استحسانه فقط ، ولا فى طلبه فقط ، ولكن رأيتهم على اختلاف أهوائهم ومطالبهم ، وتباين هممهم وإراداتهم لا يتحركون

---

(١) سورة العنكبوت :الآيتان ٢ ، ٣ .
(٢) سورة التوبة الآية ٥١ .
(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

حركة أصلاً إلا فيما يرجون به طرد الهم ، ولا ينطقون بكلمة أصلاً إلا فيما يعانون به إزاحته عن أنفسهم ، فمن مخطىء وجه سبيله ومن مقارب للخطأ ، ومن مصيب وهو الأقل من الناس فى الأقل من أموره ، فطرد الهم مذهب قد اتفقت الأمم كلها ، منذ خلق الله تعالى العالم إلى أن يتناهى عالم الابتداء ويعاقبه عالم الحساب ، على أن لا يعتمدوا بسعيهم شيئًا سواه وكل غرض غيره ففى الناس مَنْ لا يستحسنه ، إذ فى الناس من لا دين له فلا يعمل للآخرة ، وفى الناس من أهل الشر من لا يريد الخير ولا الأمن ، ولا الحق .

وفى الناس من يؤثر الخمول بهواه وإرادته على بُعْد الصيت ، وفى الناس من لا يريد المال ، ويؤثر عدمه على وجوده ككثير من الأنبياء عليهم السلام ومن تلاهم من الزهاد والفلاسفة ، وفى الناس من يبغض اللذات بطبعه ، ويستنقص طالبها ، كمن ذكرنا من المؤثرين فقد المال على اقتنائه .

وفى الناس من يؤثر الجهل على العلم ، كأكثر مَنْ ترى من العامة . وهذه هى أغراض الناس التى لا غرض لهم سواها .

وليست فى العالم منذ كان إلى أن يتناهى أحد يستحسن الهم ، ولا يريد طرده عن نفسه ، فلما استقر فى نفسى هذا العلم الرفيع وانكشف لى هذا السر العجيب ، وأنار الله تعالى لفكرى هذا الكنز العظيم ، بحثت عن سبيل موصلة على الحقيقة إلى طرد الهم الذى هو المطلوب للنفس ، الذى اتفق جميع أنواع الإنسان الجاهل منهم والعالم والصالح منهم والطالح ، على السعى له ، فلم أجدها إلا التوجه إلى الله عز وجل بالعمل للآخرة .

وإلا فإنما طلب المال طلابه ليطردوا به همّ الفقر عن أنفسهم . وإنما طلب الصوت (الصيت) من طلبه ليطرد به عن نفسه همّ الاستعلاء عليها .

وإنما طلب اللذات من طلبها ليطرد بها عن نفسه همّ فوتها .

وإنما طلب العلم من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الجهل .

وإنما هش إلى سماع الأخبار ومحادثة الناس ، من يطلب ذلك ليطرد بها عن نفسه همّ التوحد ومغيب أحوال العالم عنه .

وإنما أكل من أكل ، وشرب من شرب ونَكَحَ من نكح ، ولبس مَنْ لبس ، ولعب من لعب ، واكتَنَّ من اكتن ، وركب من ركب ، ومشى من مشى ، وتودع من تودع ، ليطردوا عن أنفسهم أضداد هذه الأفعال وسائر الهموم .

وفى كل ما ذكرنا لمن تدبر ، هموم حادثة لابد لها من عوارض تعرض فى خلالها وتعذُّر ما يتعذَّر منها ، وذهاب ما يوجد منها والعجز عنه لبعض الآفات الكائنة وأيضًا نتائج سوء تنتج بالحصول على ما حصل عليه من كل ذلك ، من خوف منافسٍ أو طعن حاسد ، أو اختلاس راغبٍ ، أو اقتناء عودٍ ، مع الذم والإثم ، وغير ذلك .

ووجدت العمل للآخرة سالمًا من كل عَيْب ، خالصًا من كل كدر ، موصلاً إلى طرد الهم على الحقيقة ووجدت العامل للآخرة إن امتحن بمكروه فى تلك السبيل لم يهتم ، بل يُسَرُّ ، إذ رجاؤه فى عاقبة ما يُنال به عونٌ له على ما يطلب ، وزائد فى الغرض الذى إيّاه يقصد .

ووجدته إن عاقه عمّا هو بسبيله عائق لم يهتم ، إذ ليس مؤاخذًا بذلك ، فهو غيرُ مؤثرٍ فى ما يطلب .

ورأيته إن قُصد بالأذى سُرَّ ، وإن نكبته نكبة سُرَّ ، وإن تعب فيما سلك فيه سُرَّ ، فهو فى سرور متصل أبدًا وغيره بخلاف ذلك أيضًا .

فاعلم أنه مطلوب واحد ، وهو طرد الهم ، وليس له إلا طريق واحد ، وهو العمل لله تعالى ، فما عدا هذا فضلال وسُخف[1] .

٥ – أهمية الدعوة والحاجة إليها :

هل يمكن للعقل البشرى أن يغنى عن وحى الله ورسالاته ويهتدى إلى الخير والصلاح بنفسه دون حاجة إلى هدايات الله وكتبه ورسله ؟

الحق أننا – مع احترامنا البالغ للعقل الإنسانى – والضمير الإنسانى لا نرى فيهما غناءً عن كلام الله وسنن المرسلين .

ذلك لأن الدين جاء هاديًا للعقل فى أمور أهمها :

١ – **أولاً** : ما وراء الطبيعة : أى العقائد الخاصة بالله – سبحانه – وبرسله عليهم الصلاة والسلام ، وباليوم الآخر ، وبالغيب الإلهى ، على وجه العموم[2] ، وذلك لأن أمور العقيدة والغيبيات غير داخلة فى مجال العقل ودائرته « فمن أين للعقل معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه لعباده ؟ ومن أين له معرفة تفاصيل محبته ، ورضاه وسخطه وكراهيته ؟ ومن أين له معرفة تفاصيل

---

(١) ابن حزم : الأخلاق والسير ٨٧ – ٩٣ .

(٢) دكتور عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل ١٧ .

ثوابه وعقابه ، وما أعدّ لأوليائه ، وما أعد لأعدائه ومقادير الثواب والعقاب وكيفيتهما ، ودرجاتهما ؟ ومن أين له معرفة الغيب الذى لم يُظْهِرِ الله عليه أحدًا من خلقه إلا من ارتضاه من رسله إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل ، وبلغته عن الله وليس فى العقل طريق إلى معرفته »[1] .

٢ – **وثانيًا** : فى مسائل الأخلاق : أى الخير والفضيلة ، وما ينبغى أن يكون عليه السلوك الإنسانى ليكون الشخص صالحًا .

وحتى لو اهتدت العقول البشرية إلى إدراك الخير والشر ، فقد تتغلب عليها الشهوات أو يشتد بها الغضب والحسد ، فيصرفها عن النافع أو تقع فى الضار[2] .

وثالثًا : فى مسائل التشريع الذى ينتظم به المجتمع وتسعد به الإنسانية ، وجاء الدين هاديًا فى هذه المسائل بالذات ، لأن العقل إذا بحث فيها مستقلاً بنفسه فإنه لا يصل فيها إلى نتيجة يتفق عليها الجميع .

ومعنى ذلك : أنه لو ترك الناس وعقولهم فى هذه المسائل فإنهم يختلفون ويتفرقون فرقًا عديدة ويتنازعون ، ولا ينتهى الأمر بهم إلى الوحدة والانسجام ، ولا إلى الهدوء والطمأنينة .

وذلك لاختلاف المدارك والمشارب ، فترى الإنسان يستحسن عين ما يستهجنه غيره ، بل الإنسان الواحد قد يظهر له الشىء حسنًا فى وقت فإذا لم يلائم غرضه فى وقت آخر عدّه قبيحًا[2] .

---

(١) ابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة ٤٥٤ .
(٢) الإسلام والعقل ١٨ وهداية المرشدين ١٨ .

يقول الشيخ الجليل أبو سليمان المنطقى :

« إن منازل الناس متفاوتة فى العقل ، وأنصباءهم مختلفة فيه » ومعنى ذلك أن هذا الذى يروق لشخص عقليًا ربما لا يروق لغيره عقليًا ، ويجب من أجل ذلك ألا يتدخل العقل فى الدين ، وإلا لاختلف الناس باختلاف عقولهم وادعى كل أن ما هو عليه : إنما هو الحق وما عليه غيره هو الباطل ونتج عن ذلك اتباع كلٍّ أهواءه .

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾[1] . فتتفرق الأمة ، وتخرج على ما أحبه الله وأمر به[2] .

والإمام الغزالى رضى الله عنه : يمثل لذلك بمثال معبر فيذكر قصة رجل بنى له أبوه قصرًا على رأس جبل ووضع فيه شجرة من حشيش طيب الرائحة وأكد الوصية على ولده مرة بعد أخرى ، ألا يخلى هذا القصر عن هذا الحشيش طوال عمره .

وقال : إياك أن تسكن هذا القصر ساعة من ليل أو نهار إلا وهذا الحشيش فيه فزرع الولد حول القصر أنواعًا من الرياحين وطلب من البر والبحر أوتادًا من العود والعنبر والمسك وجمع فى قصره جميع ذلك من شجرات كثيرة من الرياحين الطيبة الرائحة .

فانغمرت رائحة الحشيش لما فاحت هذه الروائح .

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٣ .

(٢) انظر : كتاب أخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطى ، وانظر – أيضًا – دكتور عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل ٢٩ .

فقال : لا أشك أن والدى ما أوصانى بحفظ الحشيش إلا لطيب رائحته والآن قد استغنينا بهذه الرياحين عن رائحته فلا فائدة فيه الآن إلا أن يضيق علىّ المكان فرماه من القصر .

فلما خلا القصر من الحشيش ، ظهر من بعض ثقوب القصر حية هائلة وضربته ضربة أشرف بها على الهلال فتنبَّه حيث لم ينفعه التنبه : إن الحشيش كان من خاصيته دفع هذه الحية المهلكة وكان لأبيه بالوصية بالحشيش غرضان :

أحدهما : انتفاع الوالد برائحته ، وذلك قد أدركه الولد بعقله .

والثانى : اندفاع الحيات المهلكات برائحته ، وذلك مما قصر عن دركه بصيرة الولد فاغتر الولد بما عنده من العلم وظن أنه لا سر وراء معلومه ومعقوله كما قال تعالى : ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ .

وقال سبحانه : ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ :

والمغرور من اغترّ بعقله فظن أن ما هو منتف عن علمه فهو منتف فى نفسه[1] .

بطلان قول البراهمة :

والبراهمة الذين يزعمون أن العقل يغنى عن الوحى لا نحتاج إلى إيراد الحجج لإبطال قولهم وكل ما نفعله أن نوجه الأنظار إلى ما قادتهم إليه عقولهم التى زعموا أنها يستغنون بها عن الوحى ، هذا زعيم من

---

(١) الإسلام والعقل ٢٧ .

زعمائهم فى القرن العشرين يقول مفاخرًا[1] : « عندما أرى البقرة لا أجدنى أرى حيوانًا ، لأنى أعبد البقرة ، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع » . ولقد قاده عقله إلى تفضيل أمه البقرة على أمه التى ولدته : « وأمى البقرة تفضل أمىّ الحقيقية من عدة وجوه ، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب منا خدمات طوال العمر نظير هذا ، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا ولا تطلب منا شيئًا مقابل ذلك سوى الطعام العادى » .

ومضى عابد البقرة يقارن بين أمه البقرة وأمه الحقيقية موردًا الحجج والبراهين على أفضلية أمه البقرة على أمه الحقيقية إلى أن قال : « إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال ، وأنا أعد نفسى واحدًا من هؤلاء الملايين[2] .

هذه بعض الترهات التى هدتهم إليها عقولهم التى زعموا أن فيها غنية عن الوحى الإلهى .

– كذلك مما يدل على أهمية الدعوة إلى الله وحاجة البشرية إليها أن ننظر إلى ما وصلت إليه الدول التى نسميها متقدمة متحضرة كأمريكا وبريطانيا ، وفرنسا وروسيا والصين – لتعلم مدى الشقاء الذى يغشاهم ، نحن لا ننكر أنهم بلغوا فى التقدم المادى شأوًا بعيدًا ولكنهم فى الجانب الآخر الذى جاء الرسل وجاءت تعاليمهم لإصلاحه انحدروا انحدارًا بعيدًا ، لا ينكر أحد أن الهموم والأوجاع

(١) هو زعيم الهند غاندى .
(٢) د. أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص٣٢ .

النفسية والعقد النفسية –اليوم– سمة العالم المتحضر ، الإنسان فى العالم المتحضر اليوم فقد إنسانيته وخسر نفسه ، ولذلك فإن الشباب هناك يتمردون على القيم والأخلاق والأوضاع والقوانين ، أخذوا يرفضون حياتهم التى يعيشونها ، وأخذوا يتبعون كل ناعق من الشرق أو الغرب يلوح لهم بفلسفة أو دروشة أو طريق يظنون فيه هناءهم ، لقد تحول عالم الغرب إلى عالم تنخر الجريمة عظامه ، وتقوده الانحرافات والضياع ، لقد زلزلت الفضائح أركان الدول الكبرى ، والخافى أعظم وأكثر من البادى ، إن الذين يسمون – اليوم – بالعالم المتحضر يخربون بيوتهم بأيديهم حضارتهم تقتلهم ، حضارتهم تفرز سمومًا تسرى فيهم فتقتل الأفراد وتفرق المجتمعات الذين نسميهم اليوم بالعالم المتحضر كالطائر الجبار الذى يريد أن يحلق فى أجواز الفضاء بجناح واحد[1] .

وها نحن نذكر بعض الأمثلة على الحالة الخطيرة التى وصلت إليها دول أوروبا وأمريكا التى ابتعدت عن هدى الله ، ونسيت يوم عرضه ولقاه ، حتى يعلم الدعاة إلى الله حاجة العالم إلى تعاليم الإسلام وهدى محمد ﷺ .

* فى أمريكا :

دلت الإحصائيات أن عدد الطالبات الحوامل دون زواج فى مدارس «نيويورك» وحدها بلغ ٢٤٨٧ حاملاً فى عام ١٩٦٩ ، ودلت

---

(١) د . عمر الأشقر : الرسل والرسالات ص ٣٠ (بتصرف) .

الإحصائيات الحديثة أن ربع طالبات المدارس الثانوية حبالى وأن البكارة مفقودة البتة[1] .

وجاء فى كتاب أساليب الغزو الفكرى للدكتور على جريشة ص ٢٢٦ : « يقع فى أمريكا أربعة ملايين ونصف مليون جريمة خطيرة تقع كل عام : جريمة قتل كل ٢٩ دقيقة ، جريمة اغتصاب (زنى بالإكراه) كل ١٧ دقيقة ، جريمة اغتصاب مال كل دقيقتين جريمة سرقة كل ١٧ ثانية » .

وقرر « كنيدى » فى تصريحه الخطير سنة ١٩٦٢م أن مستقبل أمريكا فى خطر ، لأن شبابها مائع منحل غارق فى الشهوات ، لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التى أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية »[2] .

• وفى إنكلترا :

نشرت جريدة « التايمز » اللندنية تقارير طبية ، وصرخات رسمية وخاصة عديدة بشأن الإجهاض وخطره منها :

وقفت « الجمعية الطبية البريطانية » مذهولة إزاء أرقام الإجهاض الملحوظة فى الربع الأول من سنة ١٩٧١م (أى خلال ٩٠ يوما فقط) والبالغة (٢٢٨٠٨) حادثة وردت حسب العمر على الشكل التالى :

---

(١) عبد الله علوان : الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمى ص ١٣ .
(٢) السابق ص ١٤ .

السن	عدد الحوادث
أقل من ١٦	٥٣٣
١٦ – ١٩	٤٠٢٣
٢٠ – ٣٤	١٣٨٧٣
٣٥ – ٤٤	٣٧٨٦
٤٥ فما فوق	١١٤
بدون تحديد	٢١٧

هذا وقد علقت الجمعية الطبية المذكورة على العدد الإجمالى لحوادث الإجهاض لعام ١٩٧١ البالغ (٨٠٧٢٣) حادثة قائلة :

إن الزيادة فى عدد حوادث الإجهاض فى الوقت الحالى تحتم علينا المطالبة بوضع حد حازم وفعال للإجهاض وخاصة وأنّ الأرقام فى زيادة مستمرة .

* **وفى الدنمارك :**

قامت مظاهرة نسائية ضخمة فى شوارع عاصمتها (كوبنهاغن) سنة ١٩٧٠م تناقلتها بعض وكالات الأنباء على أمواج الأثير ، ونشرتها أكثر صحف العالم منها مجلة الأسبوع العربى – اشترك فى المظاهرة عدد كبير من الفتيات وطالبات الجامعة .. وكن يرددن الهتافات المكتوبة على اللافتات المحمولة أثناء المظاهرة :

نرفض أن نكون أشياء ..

نرفض أن نكون سلعًا لتجار الإباحية .

سعادتنا لا تكون إلا فى المطبخ

نريد أن تبقى المرأة فى البيت .

أعيدوا لنا أنوثتنا .

إننا نرفض الإباحية .

وحكومة الدنمراك اعتبرت هذه المظاهرة النسائية انتفاضة جديدة من نوعها فى سبيل الأنوثة واعتبرتها قضية عامة لها أهميتها[1] .

وفى الشرق والغرب عامة[2] :

* أفواج الهيبز والخنفس : شباب فارغ روحيًّا وخلقيًّا وفكريًا أهملته الحضارة المادية ، فلم تملأ فراغه ، فراح يملؤه بالعبث واللهو والمجون والإباحية . فغدا يتخلق ويتصرف حسب الأهواء ، مرة يلبس القصير الضيق ، وأخرى الطويل الفضفاض ، ومرة يطيل شعره حتى يبلغ ظهره وأخرى يحلقه من أصله ، ومرة يحاكى الحشرات ، وأخرى يقلد الحيوانات ، إلى غير ذلك من هذه المتناقضات التى تشمل كل التصرفات سواء أكانت فكرية أم سلوكية أم نفسية .

* الاستغراق فى حياة الجنس والميوعة : حتى صار الجنس وعملياته شيئًا يرافق الفرد الغربى أو الشرقى ، أينما وجد وحيثما حل وارتحل ، وفى جميع جوانب حياته .. حتى غدا شيئًا مألوفًا وعاديًا ومتعارفًا عليه دون تفريق بين خير وشر ، أو فضيلة ورذيلة أو حلال وحرام .

---

(١) ارجع إلى كتاب (خطر التبرج والاختلاط) . للأستاذ عبد الباقى رمضون ص١٣٧ - ١٤٩ (نقلا عن عبدالله علوان ص ٢١) .

(٢) المرجع السابق .

ففى مسرحية « هير » ظهر فيها الممثلون عراة تمامًا على خشبة المسرح .

وفى نيويورك ظهرت مسرحية « تشى غيفارا » وقف فيها الممثلون ليمارسوا عملية الشذوذ الجنسى (اللواط) أمام أعين المتفرجين .

وفى نيويورك أيضًا ظهرت مسرحية « أوه كالكوتا » تحتوى على عشر شخصيات :خمسة رجال وخمس نساء .. وقفوا جميعًا ليقوموا بعملية العلاقة الجنسية علانية أمام الجمهور بلا حياء ولا خجل .

وفى فرنسا جزيرة ملقبة بجزيرة العرايا ، يتعرى من يأتى إليها من كل فضيلة وشرف ويخوض من يريد مفاسدها حياة الرذيلة والفاحشة[1] .

• أما عن وضع المرأة فى الحضارة الغربية فقد دفع بها الوضع الاجتماعى الذى لا يرحم إلى أن أصبحت تطرد من المنزل بعد سن الثامنة عشرة لكى تبدأ فى الكدح لنيل لقمة العيش ، وإذا ما رغبت – أو أجبرتها الظروف – فى البقاء فى المنزل مع أسرتها بعد هذه السن فإنها تدفع لوالديها إيجار غرفتها وثمن طعامها وغسيل ملابسها بل تدفع رسما معينًا مقابل اتصالاتها الهاتفية[2] . وإذا حظيت الطريدة بأى عمل فإنها تستشعر دومًا تهديد البطالة والأزمات الاقتصادية وتظل خاضعة لاستغلال الرأسماليين أو عبودية الدولة – إن كانت شيوعية–

---

(١) المرجع السابق .

(٢) انظر المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعى ٣٠٠ (نقلا عن سفر الحوالى ٤٣٤) .

ويؤدى إرهاقها المستمر وقلقها الدائم إلى أن تفقد طبيعتها الأنثوية وتصبح عرضة للأمراض العصبية وفى بعض الأحيان لا تجد وسيلة للخلاص من هذا الكابوس الرهيب أفضل من الانتحار[1] .

وحيال ذلك ماذا فى وسع المرأة أن تفعل ؟ بأى شىء تواجه المجتمع النكد الذى يلهب ظهرها بالسياط ويقطع عليها طريق العودة إلى فطرتها ؟ ليس هناك إلا أحد سبيلين : إما الانتقام من هذا المجتمع الظالم بترويعه وتعكير صفوه كما جاء فى التقرير الذى نشرته الصحف من أنه « بلغت عدد سرقات المتاجر الكبيرة فى إنجلترا خلال عام ١٩٦٠ نحو ٣٢١٩٤ سرقة هذا عدا الحالات التى لم تبلغ لإدارة البوليس ، والغريب أن ٦٠٪ من هذه السرقات ارتكبتها نساء جاوزن سن البلوغ و٣٠٪ ارتكبها ذكور أقل من السابعة عشرة ، وتقول الإحصائيات إن كل السارقات من النساء لم يكن فى حاجة للمال »[2] .

نعم إنها ليست الحاجة للمال ولكنها الرغبة فى الانتقام من الآخرين وتفريغ السخط .

وإما الانتقام من نفسها بالانتحار كما فعلت الممثلة الشهيرة « مارلين مونرو » التى كتبت قبيل انتحارها نصيحة لبنات جنسها تقول فيها :

« احذرى المجد .. احذرى من كل من يخدعك بالأضواء .. إنى أتعس امرأة على هذه الأرض .. لم أستطع أن أكون أما .. إنى امرأة

---

(١) د . سفر الحوالى العلمانية ٤٣٤ .

(٢) مصطفى السباعى : المرأة بين الفقه والقانون ٢٥٧ – ٢٦٨ (نقلا عن العلمانية ٤٣٦) .

أفضل البيت .. والحياة العائلية الشريفة على كل شيء .. إن سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة بل إن هذه الحياة العائلية هى رمز سعادة المرأة بل الإنسانية » وتقول فى النهاية « لقد ظلمنى كل الناس .. وأن العمل فى السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة »[1] .

ومادمنا بصدد الحديث عن وضع المرأة فى الحضارة الغربية فلعل من الخير أن نورد بعد المشاهدات التى قدمها لنا طبيب مسلم يسكن فى بريطانيا ويعمل طبيبا للأمراض النفسية ، يقول متحدثًا عن المرأة الغربية والزواج :كنت أستغرب عند بداية إقامتى فى بريطانيا أن المرأة هى التى تنفق على الرجل، وكنت أشاهد هذه الظاهرة عندما أركب القطار أو أدخل المطعم، إذ ليس فى قاموس الغربيين شيء اسمه «كرم» .

وبعد حين زال هذا الاستغراب ، وأخبرنى المرضى عن أسباب هذه الظاهرة ، وفهمت منهم بأن الرجل لا يحب الارتباط بعقد زواج ، ويفضل ما أسموه (صديقة) والمرأة تسميه (صديقًا) وليس هو أو هى من الصدق فى شيء ، وكم أساءوا لهذه الكلمة النبيلة ، فالصديق يعنى : الصدق ، والمحبة والمروءة ، والنخوة ، والكرم ، والوفاء وما إلى ذلك من معان طيبة كريمة .

والصديق عندهم يعيش مع امرأة شهورًا أو سنين ولا ينفق عليها ، بل هى تنفق عليه فى معظم الحالات ، وقد يغادر البيت متى شاء ،

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعى ٢٧٣ -٢٧٤ . (د/ سفر الحوالى ٤٣٦) .

أو يطلب منها مغادرة بيته ، إن كانت تعيش معه فى بيته ، ولهذا فالمرأة عندهم تعيش فى قلق وخوف شديدين ، وتخشى أن يرتبط صديقها !! بامرأة ثانية ويطردها ، ثم لا تجد صديقًا آخر ، وكما يقولون « بالمثال يتضح المقال » فسوف أختار مثالاً واحدًا من أمثلة كثيرة تبين وضع المرأة عندهم .

رأيت فى عيادة الأمراض النفسية امرأة فى العشرينات من عمرها وكانت حالتها النفسية منهارة ، وبعد حين من الزمن شعَرَتْ بشىء من التحسن . وأصبحت تتحدث عن وعى فسألتها عن حياتها فأجابت ، والدموع تنهمر من عينيها قالت :

مشكلتى الوحيدة أننى أعيش بقلق واضطراب ، ولا أدرى متى سينفصل عنى صديقى ، ولا أستطيع مطالبته بالزواج منى لأننى أخشى من موقف يتخذه ، ونُصِحتُ بالعمل على إنجاب طفل منه ، لعل هذا الطفل يرغبه فى الزواج ، وها أنت ترى الطفل كما أنك ترانى ولا ينقصنى جمال ومع هذا وذاك فأبذل كل السبل من تقديم خدمات وإنفاق مال ، ولم أنجح فى إقناعه بالزواج ، وهذا سر مرضى ، وسبب قهرى إننى أشعر بأننى وحدى فى هذا المجتمع ، فليس لى زوج يساعدنى على أعباء الحياة ، ولى أهل ولكن وجودهم وعدمهم سواء ، وليتنى بقيت بدون أطفال لأننى لا أريد أن يتعذب ويشقى فى هذه الحياة كما تعذبت وشقيت .

ثم يقـــول الدكتور عبد الله مبارك الخاطر : وهذه المرأة المريضة ليست من شواذ المجتمع الغربى ، بل الشواذ هم الذين يعيشون حياة هادئة ومع ذلك ينقد الغربيون مجتمعاتنا الإسلامية ويزعمون بأن المرأة

تعيش فى بلادنا حياة بائسة محزنة ونحن لا يهمنا رأى الغرب بنا ولا نطلب حسن سلوك ، ولكن نريد من نسائنا أن يحمدن الله سبحانه وتعالى على نعمة الإسلام فلقد كانت المرأة فى الجاهلية ذليلة مهينة وجاء الإسلام ليرفع مكانتها وبفضل من الله سبحانه وتعالى أصبح الرجل يبحث عن المرأة ، ويطلب الزواج منها ، وهى قد تقبل وقد ترفض ، ولأهلها دور كبير فى أمر زواجها ، سواء أكانت عند زوجها أم فى بيت أبيها فهى عزيزة كريمة ، والرجال هم الذين ينفقون عليها ، بل والذى نشكو منه فى بلادنا الغلو فى المهور ، والتكاليف الباهظة التى تفرض على الرجل حتى يحصل على زوجة[1]

﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾[2] .

ويذكر الدكتور عبدالله مبارك الذى يعيش فى بريطانيا حادثة أخرى لا تقل عن سابقتها فى بيان ما وصلت إليه الحضارة الغربية من قسوة وشقاء وتقطع للعلاقات الاجتماعية والروابط الأسرية فيقول :

كانت جارتنا عجوزًا يزيد عمرها على سبعين عامًا .. وكانت تستثير الشفقة حين تشاهد . وهى تدخل وتخرج وليس معها من يساعدها من أهلها وذويها .. كانت تبتاع طعامها ولباسها بنفسها، كان منزلها هادئًا ليس فيه أحد غيرها ولا يقرع بابها أحد .

---

(١) مجلة البيان ص ٥٩ – ٦٠ (تصدر عن المنتدى الإسلامى بلندن) .
(٢) سورة الحجرات : الآية (١٧) .

وذات يوم قمت نحوها بواجب من الواجبات التى أوجبها الإسلام علينا نحو جيراننا ، فدهشت أشد الدهشة لما رأت مع أننى لم أصنع شيئًا ذا بال ولكنها تعيش فى مجتمع ليس فيه عمل خير ولا يعرف الرحمة والشفقة ، وعلاقة الجار لجاره لا تعدو فى أحسن الحالات تحية الصباح والمساء .

جاءت فى اليوم الثانى إلى منزلنا بشىء من الحلوى للأطفال ، وأحضرت معها بطاقة من البطاقات التى يقدمونها فى المناسبات ، وكتبت على البطاقة عبارات الشكر والتقدير لما قدمناه نحوها .. وشجعتُها على زيارة زوجتى فكانت تزورها بين الحين والآخر ، وخلال ترددها على بيتنا عَلِمَتْ بأن الرجل فى بلادنا مسئول عن بيته وأهله، يعمل من أجلهم، ويبتاع لهم الطعام واللباس ، كما علمت مدى احترام المسلمين للمرأة سواء أكانت بنتًا أم زوجة أم أمًّا ، وبشكل أخص عندما يتقدم سنها حيث يتسابق ويتنافس أولادها على خدمتها وتقديرها ومن أعرض عن خدمة والديه وتقديم العون لهما كان منبوذًا عند الناس .

كانت المرأة المسنة تلاحظ عن كثب تماسك العائلة المسلمة ، كيف يعامل الوالد أبناءه . وكيف يلتفون حوله إذا دخل البيت وكيف تتفانى المرأة فى خدمة زوجها .. وكانت المسكينة تقارن بما هى عليه وما نحن فيه كانت تذكر أن لها أولادًا وأحفادًا لا تعرف أين هم ؟ ولا يزورها منهم أحد ، قد تموت وتدفن أو تحرق وهم لا يعلمون ،ولا قيمة لهذا الأمر عندهم ، أما منزلها فهو حصيلة عملها وكدها طوال عمرها ، وكانت تذكر لزوجتى الصعوبات التى تواجه المرأة الغربية فى العمل وابتياع حاجيات المنزل ثم أنهت حديثها قائلة :

إن المرأة فى بلادكم « ملكة » ولولا أن الوقت متأخر جدًا لتزوجت رجلا مثل زوجك ولعشت كما تعيشون .

ومثل هذه الظاهرة يدركها كل من يدرس أو يعمل فى ديار الغرب ، ومع ذلك فلا يزال فى بلادنا من لا يخجل من تقليد الغربيين فى كل أمر من أمور حياته ، ولا تزال فى بلدان العالم الإسلامى صحف ومجلات تتحدث بإعجاب عن لباس المرأة الغربية وعمل المرأة الغربية والأزياء الغربية ، والحرية التى تعيش فى ظلها المرأة الغربية[1] !

بقى أن نختم حديثنا عن أمراض الحضارة المعاصرة وحاجتها إلى الدعوة الإسلامية بما ورد فى الصحافة العالمية عن ظاهرة « الانتحار » فى المجتمعات المتحضرة والتى هى الغاية فى الهرب من جحيم تلك الحضارة وويلاتها حيث بلغت حدًّا من الانتشار حتى أصبحت فى رأى علماء النفس والاجتماع صرعة غربية .

فالواقع السريع للتطور التكنولوجى المتلاحق ، والاتجاه الشرس نحو المادية المفرطة وتفكك الروابط والعلاقات الاجتماعية والأسرية أوجدت إحساسًا بالضياع ، وأوجدت أزمة هوية لدى الشباب والمراهقين فى بلاد الغرب التى أصبحت مهددة بانهيار نفسى وجماهيرى .

هذا الإحساس بالضياع الذى يعيشه مراهقو الغرب أوجد نزعة نحو التخلص من مشاكل الحياة المادية باللجوء إلى الانتحار .. فقد أجرت مجلة المراهق الأمريكية مسحًا بين عينة من الصبية والفتيات فى فئة السن بين ١٥ ، ١٩ عامًا لاستطلاع مشاعرهم تجاه ظاهرة الانتحار

---

(١) مجلة البيان اللندنية : العدد الرابع جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ ص ٩٧ .

المتزايد فى المجتمع الأمريكى .. المسح الذى شارك فيه أكثر من « ٥٠٠ » صبى وفتاة جاءت بنتائج مفزعة تقول :

إن الثلث ممن وجهت إليهم الأسئلة حاولوا فعلا التخلص من حياتهم ، بعد أن استسلموا لليأس والقنوط ، ولقد روعى فى تكوين واختيار تلك العينة أن تكون ممثلة لواقع المجتمع الأمريكى بجميع طبقاته . وينتهى المسح أيضًا إلى أن ٧٣٪ من الشباب والمراهقين فكروا فى الإقدام على الانتحار مرة أو أكثر خلال حياتهم .

ويشير الاستطلاع إلى ظاهرة أخرى .. وهى أن غالبية من حاولوا الانتحار هن من الفتيات فى أخطر مراحل العمر وأحوجها إلى الجو النفسى الأسرى عند رفضها أو عجزها عن دفع تكاليف سكنها ومعيشتها !!

يُنْشَرُ هذا الاستطلاع فى وقت ينعق فيه أدعياء تحرير المرأة المسلمة !! ليخرجوها من عش وجو الأسرة الآمن إلى حيث القلق والاضطراب النفسى والأخلاقى .

أما عن أسباب الانتحار فهى عديدة ومتنوعة وأكثرها شيوعًا حسب ما كشفت عنه الإجابات هو صراع الجيلين – أى الخلاف بين المراهق ووالديه ولاسيما وأن الأب ينتمى إلى عهد كان أقَلَّ شراسة فى ماديته .. وثمة دوافع أخرى فى رأى المراهقين إذ يقول من أجرى عليهم المسح إن الإحساس بالوحدة يدفع إلى التفكير في الانتحار وكذلك الانزعاج والاستياء من المظهر الشخصى للمرء يُزَهِّدِه فى حياته وخلافه مع صديقه أو صديقته يجعله يريد أن يبرح الدنيا .. ومما يزيد الطين بلّةً

أن الشخصية الانتحارية لا تجد من تفضى إليه بمكنوناتها حتى تزول الغمة وتنفرج الأسارير .. وفى ذلك تقول نتائج المسح إن ربع من فكروا أو أقدموا على الانتحار فعلوا ذلك بعد أن خاب أملهم فى وجود من يسرون إليه بمعاناتهم[١] .

وفى اليابان حيث التقدم الصناعى والقفزات المادية السريعة أفاد تقرير رسمى نشر بتاريخ ١٩٨٧/٢/١٢م أن ٨٠٢ من الشباب اليابانى المراهق قد انتحروا فى العام الماضى ، مما يشكل زيادة بواقع ٤٤٪ عن العام الذى سبقه ، وقال تقرير وكالة الشرطة القومية إن ٢٩٩ فتاة قد انتحرت خلال عام ١٩٨٦م وذلك بزيادة ٦,٩٪ سجلت أعلى رقم قياسى .

وذكر التقرير أن مشاكل المدارس كانت حافزًا لانتحار ٢٠٧ شاب ، تليها المشاكل العائلية التى أودت بحياة ١٠٧ أشخاص والمشاكل الغرامية التى ذهب ضحيتها أكثر من ٩٠ شخصًا[٢] .

وإذا كان وباء العصر « الإيدز » يقضى على مئات الأشخاص كل سنة فى المجتمعات الأمريكية والأوربية فإن من المصابين به من يفضل أن يموت بيده لا بيد فيروس المرض احتجاجًا على إصابته به ، فيقدم على الانتحار كما أقدم زوجان إيطاليان بأن أطلقا على نفسيهما النار بعد أن أوصيا برعاية ابنهما الوحيد[٣] .

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨٧/٤/٢٢م .
(٢) صحيفة الجارديان بتاريخ ١٩٨٦/١٢/٢٠م .
(٣) الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨٧/٢/٥م .

وإن كان بعض ما تقدم من حالات أو محاولات الانتحار يبدو له ما يبرره – على مستوى العقلية المادية على الأقل – فإن كثيرًا من ممارسى هذه الظاهرة قد قضوا نحبهم لأسباب تبدو تافهة أو مضحكة فى نظر من أوتى عقلاً وإيمانًا .

* ففى تقرير حوادث الانتحار اليابانية – سابق الذكر – تعتقد الشرطة أن الزيادة الحادة فى إقدام الفتيات على الانتحار جاءت بعد انتحار المغنية الشهيرة « يوكيكو أو كادا ١٨ عام » التى قفزت من أعلى مبنى شاهق فى طوكيو فى إبريل ١٩٨٦م[١] .

* وأقدمت الأم البريطانية على الانتحار بعد ما فشلت فى العثور على دواء يضع حدًّا لتساقط شعرها مخلفة وراءها ثلاثة أولاد عن عمر يبلغ ٤٣ عامًا[٢] .

* وانتحر الأب الإنجليزى ذو الخمسين عامًا بسبب مضايقات حماته بعد أن نفَّذ مذبحة فى أسرته ضمنها العجوز التى كانت سببًا فى انتحاره[٣] .

* وأن آخر يقذف بنفسه وطفله من الطابق التاسع عشر احتجاجًا على حكم المحكمة بضم الابن لصالح الأم المطلقة[٤] .

* وأخرى تقرر مفارقة الحياة بسبب مرض جلدى فى وجهها[٥] .

---

(١) القبس ١٩٨٧/٢/١٣م .
(٢) القبس ١٩٨٦/٩/١٩م .
(٣) الشرق الأوسط ١٩٨٧/٥/١٣م .
(٤) الشرق الأوسط ١٩٨٧/٤/٢٢م .
(٥) الشرق الأوسط ١٩٨٧/٦/٣٠م .

إلى آخر ما هنالك من الحالات الفردية التى فارقت الحياة لأتفه الأسباب .

وما أوردنا مثل هذه الحالات إلا ليتعرف القارىء المسلم عن كثب ما تعيشه الشعوب الغربية من قلق واضطراب نفسيين وخواء روحى وضيق أفق نتيجة البعد عن منهج الله ، والنظرة المادية القاصرة للكون والحياة[1] .

٦ – النجاة فى الدعوة إلى الله :

جعل الله النجاة مترتبة على الدعوة إليه – سبحانه – والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقال عز وجل :

– ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيسٍ – أى : شديد – بما كانوا يفسقون ﴾[2] .

فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهى عن السوء .

– وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقًا فلم نؤذ من فوقنا.

فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا .

---

(١) البيان ص ٩٨ (عدد ٨ صفر ١٤٠٨هـ) .
(٢) الأعراف ١٦٥ .

وإن أخذوا على أيديهم – أى منعوهم – نَجَوا ونجوا جميعًا »[1] .

[القائم فى حدود الله معناه : المنكر لها القائم فى دفعها وإزالتها . وحدود الله : ما نهى الله عنه] .

– وقيل لرسول الله ﷺ :

أنهلك وفينا الصالحون ؟

« قال ﷺ : نعم إذا كثر الخبث »[2] – أى : الفسوق والفجور .

– وعن حذيفة رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« والذى نفسى بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهَوُنَّ عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[3] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل ، أنه كان الرجل يلقى الرجل – أى على منكر – فيقول :

يا هذا : اتق الله ، ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك .

ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : ﴿ لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه الترمذى .

ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرًا منهم فاسقون﴾[1] .

ثم قال : كلا والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرًا ولتقصرنه على الحق قصرًا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم »[2] .

وفى هذا دليل على النهى عن مجالسة العاصين ، وأمر بتركهم وهجرانهم .

– وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أنه قال :

« يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية » :

﴿يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[3] . وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه – أى لم يمنعوه – أوشك الله أن يعمهم بعقابه »[4] .

---

(١) المائدة ٧٨ – ٨١ .
(٢) رواه أبو داود والترمذى .
(٣) المائدة ١٠٥ .
(٤) رواه أبو داود والنسائى والترمذى

– وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال :لا تقفنّ عند رجل يُقتل ظلمًا فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه » .

– وقال رسول الله ﷺ :

« لا ينبغى لامرىء شهد مقامًا فيه حق إلا تكلم به ، فإنه لن يقدم أجله ، ولن يحرم رزقا هو له »[1] .

قال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى :

هذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ، ولا حضور المواضع التى يشاهد المنكر فيها ، ولا يقدر على تغييره فإن اللعنة تنزل على من حضره .

– وفى الحديث الشريف : أن الله تبارك وتعالى ، أوحى إلى ملك من الملائكة ، أن اقلب مدينة كذا أو كذا على أهلها ، فقال : يارب ، إن فيهم عبدك فلانًا ، لم يعصك طرفة عيْنٍ !

قال : اقلبها عليه وعليهم ، فإن وجهه لم يتمعر فىّ ساعة قط »[2] . أى لم يغضب لله ، ولم يتغير وجهه لرؤية المنكر .

٧ – حكم من لم تبلغه الدعوة :

الذى لم تبلغه الدعوة بأن نشأ فى جبل شاهق ، فليس بمكلف على الأصح ، خلافًا لمن قال إنه مكلف لكفاية العقل فى وجوب معرفته تعالى عندهم وإن لم تبلغه الدعوة .

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقى .

(٢) رواه الطبرانى والبيهقى ، وقيل : هو من قول مالك بن دينار رحمه الله تعالى .

فالمذهب الحق أن أهل الفترة (وهم من كانوا بين أزمنة الرسل أو في زمن الرسول الذى لم يرسل إليه ناجون وإن غيروا وبدلوا وعبدوا الأوثان .

وما ورد من أنه صلوات الله وسلامه عليه أخبر بأن جماعة من أهل الفترة فى النار كامرئ القيس وحاتم الطائى ، وبعض آباء الصحابة فإن أحد الصحابة سأله وهو يخطب فقال أين أبى ؟

فقال : فى النار . فهى أحاديث آحاد لا تعارض القطعى وهو قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾[1] .

ويجوز أن يكون تعذيب من صحّ تعذيبهم منهم لأمر يختص به يعلمه الله تعالى ورسوله .

يقول الشيخ على محفوظ : وإذا علمت أن أهل الفترة ناجون – على المذهب الحق – علمت أن أبويه صلوات الله وسلامه عليه ناجيان لكونهما من أهل الفترة »[2] .

---

(١) سورة الإسراء : الآية (١٥) .

(٢) هداية المرشدين ٢٤ .